الكتاب الابيض

رواية سرّية بقلم احد الاباء اليسوعيين

كان في احدى مدن فرنسا الغنيّة على ريف البحر المحيط تاجرٌ مثرٍ يُدعى ملكيور كانت سفنهُ العديدة في القرن السابع عشر تمخر غمار البحار وترمي مراسيها في جميع البلدان مقلّة انفس محاصيل بلادهِ فتودعها تلك الاصقاع وتُقايض بها محصولات تلك الاراضي الشاسعة الغريبة ثم تأوب قافلةً وتستودعها مخازن التاجر فيبيع ملكيور تلك المحاصيل ويملأ صناديقه من الذهب الرضاح . فاخذ من ثمّ صيتهُ يذيع في الامصار وبات احدوثةً بين الرفيع والوضيع والقاصي والداني الى ان ضُرب بهِ المثل فقيل فيمن احرز نشباً واصاب غنًى : « فلانٌ سعيدٌ كملكيور »

ومن اسباب سعادتهِ انهُ مع ما كان عليهِ من الثروة الطائلة اقترن بزوجة عاقلة ذات جمال ورصانة فرزقهما الله ثلاثة بنين نشأوا مزدانين بالفضيلة والطاعة وخوف الله . ولا تسَل عن اصحابهِ العديدين الذين كانوا ينتفعون من معاملتهِ ولا عمّا احرزهُ من المجد الباذخ والاعتبار السامي بين اهل وطنهِ فكنت ترى الجميع يتسابقون الى خدمتهِ ويتبارون في اظهار المتونية لاعمالهِ الحطيرة التي اكسبتهم ثروةً عظيمةً ورفعتهم من حضيض الذلّ الى ذروة الشرف . تلك هي سعادة العالم لولا انها لا تدوم اذ لا شيءَ على الارض باقٍ فبعد زمن قليل مال المال وحالت الحال .

ان الحوادث والخطوب اذا سطتْ أودت بكلّ موثّق الاركانِ

*

ما عتّم الدهر ان قلب لهذا المثري المسكين ظهر المجنّ . فاناخت الخطوب في بابهِ واخذت الاخبار المحزنة تتوارد عليهِ من كل صوب وناحية . فتارةً تنبئهُ بان مراكبهُ العديدة قد تحطّمت فبادت عن آخرها . وطوراً تخبرهُ ان شركاءهُ قد افلسوا . وحيناً ان اصدقاءهُ قد سدّوا دونهُ باب المساعدة وأقفلوا في وجههِ يد المعاضدة . وآونةً ان ابناءهُ بادته قد أعرضوا عنهُ فعاد بينهم نسياً منسياً كأنهُ لم يكن :

كم من صديقٍ لذلّ المال صاحبني وصاحبٍ عند فقد المال خلّاني

لم يمض على ملكيور بضعة اسابيع إلا وألجئ ان يبيع ما ملكت يداهُ من قصور شاهقة وعقارات وخيل ومواشٍ واثاث فاخر وتماثيل بديعة الصنعة سدًّا لحاجته ووفاء لديونه. فشقَّ ذلك على امرأته وتأجَّجت نار الاسى بفؤادها ولم يكن في وسعها احتمال هذه الفاضة بعد تلك السعادة ولا ارتشاف كأس الذلّ والهوان بعد التقلب على وثير المناء والرخاء. فأصيبت بداء عقام عيت دونهُ حيل الاطبَّاء فغارقت عالم البوار

وصروفُ الدهر في اطبانهِ حلقةٌ فيها ارتفاعٌ وانحدارْ

فما لبثت الغموم والاحزان وسهر الليالي ان اضنكت جسم ملكيور المنكود الحظ واوهنت عزائمهُ وطرحتهُ على فراش الآلام. فبينما كان مساء احد الايام كنت ترى اولادهُ الثلاثة يحيطون بهِ ويظهرون لوالدهم المحبوب امارات الانعطاف والمحبة والاعتناء. فتارةً يسندون رأسهُ وطورًا يقبّلون يديهِ وحينًا يدفئون رجليهِ الخابلتين. اما هو فكان يكرّر عليهم هذا الكلام الصادر من قلب محروق: كفُّوا اولادي. كفُّوا عن هذا الاعتناء الذي لا يجدي نفعًا لان هذا الجسم سيصبح عمَّا قليل عديم التألم. دعوني اراكم واعانقكم وأصلي الى الله كي يحفظكم سالمين ويمدَّكم بنعمتهِ وحمايتهِ القديرة اذ لم يبق لكم نشبٌ ولا عاضد يعضدكم في هذه الدنيا. واحزناه ما امرّ الموت وارهبهُ على والدٍ يترك اولادًا ثلاثة يعانون الفقر فرائسهم المدَر ووسادهم الحجر!

قال يوحنَّا ابنهُ البكر ممسكًا دموعهُ: ابتِ طب نفسًا لا تبالِ بما سوف يطرأ علينا من الحوادث ليس الله جلَّ جلالهُ باقيًا لنا وقد استجرت بهِ وطلبتُ لنا منهُ عونًا فبركتك تحلّ علينا وتنال لنا التوفيق

قال جول ابنهُ الثاني في العمر: ابتِ قرَّ عينًا انَّا سنقيم على محبَّتك ما حيينا ونحيي ذكرك ما دام فينا رمق

قال ايمار الولد الاصغر: ابتِ سرّ عن قلبك وأجلِ كربك عمَّا قليل تُقابلك والدتنا العزيزة فحدثها عنَّا

فاخذ حينئذٍ المحتضر يديرُ بصرهُ في اولادهِ واذا بتقاطيع وجههِ قد ابرقت وبدت على محياهُ امارات الامل العذب والتنفس فبدَّدت تلك الغيوم المظلمة واخمدت جمرات الحزن وكشفت عن قلبهِ الغموم فعادت السكينة التي كان فقدها من جرَّاء ما عانى من مضض البلوى والتقلب على جمرات نار الشدائد. وفي اثناء ذلك سُمع في الخارج صهيل

. . . واذا بفرس ابيض من اجمل الأصيلة يعدو سابحاً وراءه لجاماً فوقف عند الباب ثم ولي ذلك الصهيل نباح كلب . . . كلب ضخم قد اسرع الخطوات وفي عنقه سلسلة تطوّقهُ . فحصل اذ ذاك سكوت تام

لم يمضِ رَدَح من الزمان إلا وفتح طارقٌ باب الدار فدخل وجثا عند رجلي المحتضر وقال: سيدي ملكيور لم يبقَ ان حياتك في خطر أتيتُ اقضي فرضاً مقدّساً ليس هو الّا اسداء الشكر على ما اوليتني من نعمك مدّة حياتك واسبغتَ عليَّ من احسانك . ومن جملة جزيل عطاياك هذا الفرس وذاك الكلب . فهاكهما خارجاً . لانهما ابيا الّا الرجوع الى حظيرتهما القديمة . . . أجل سيّدي . طالما قد اظهرت لي حنوّاً وانعطافاً كلّما استنصرتك على جور الزمان . كم من مرّةٍ وجدتني معوزاً فانتشلتني او مجدباً فاخصبتني او حزيناً فسليتني :

فما لي لا أُعطي ثناءك حقَّهُ وأُثني على جدواك في السرّ والجهرِ

بل كيف اقوم بواجب حقك عليَّ واي شيءٍ يملك فقير مثلي غير الدُّعاء »

فكان كلام هذا المسكين للتاجر ألطف من نسيم الصبا واعذب في فم الظمآن من الماء الزلال والذّ من العافية لصاحب السقام . فاجال المحتضر طرفهُ في الفقير وشارات الترح تتلألأ على محيّاهُ ثم ألقى بنظرهِ الى خارج الدار فسرَّ برأى الفرس « ريح » الذي اخذ يتشمّم مولاهُ ويرؤية الكلب « فرّاس » الذي كان ينبح ويصبص بذنبهِ عند نظرِ سيّدهِ وكان الفقير جاثياً يصلّي ويقربهِ الاولاد الثلاثة يكفكفون دموعهم . . .

فاخرج حينئذٍ ملكيور كتاباً من حجرهِ وقال بصوتٍ خافت متقطّع . . . « اولادي لم يبقَ لي ملكٌ اخلفهُ لكم سوى هذا . دونكم الكتاب احفظوهُ كذخيرة ثمينة من ابيكم وعدوني بانكم تتروّوا في محتواهُ وترضخوا لما يأمركم به » . فمدَّ كلٌّ من اولادهِ الثلاثة يده اليمنى ووضعها على راس والدهِ واستشهدوا الله بان يحفظوا اتمَّ الحفظ وصيَّة ابيهم فاردف ملكيور قائلاً : « الآن اموت قرير العين » . ثم اجهد نفسهُ وعانق اولادهُ الثلاثة المعانقة الاخيرة . ثم تنهّد الصعداء ولفظ روحهُ البارّة بسكينة وهدوء

كان الاخوة الثلاثة في آخر حياة ابيهم قد كتموا ما في فؤادهم من نار الاسى مخافةَ ان يحزنوا والدهم في الساعة الاخيرة ويضجلوا حمامهُ . فلمّا اصبحوا يتامى اطلقوا العنان لحزنهم واسترسلوا في البكاء والنحيب . فشارك الاولادَ في حزنهم الفرسُ

والكلب اللذان سمعا نوح اليتامى وعويلهم فاظهرا من الكآبة ما كاد يخيّل للناظر انهما ناطقان فالفرس ينحص برجله الارض والكلب كان ينبح نباحاً كشبه العويل . . . اما الوافد المسكين فكان يصلي بإخبات بلا انقطاع

بيدَ ان الرياح حملت صُراخ الاولاد وخيبهم الى متملك قصر ملكيور ومقتني امواله فازعجت راحتهُ ونغصت عيشته وعكّرت صفاء جوّهِ الذي كان يحمل اليهِ الروائح العطريّة الفائحة من زهور روضتهِ الغنّاء . والريح ان هبّت على عطر طابت

فدعا خدَمهُ وقال لهم : اذهبوا حالًا الى حيث كان ملكيور واخرجوا أولادهُ من الكوخ الذي كنت من امدٍ مديد قد رخّصت لهم الاقامة فيهِ . اما الآن وقد مات الاب فليُدفن على النور . ثم لينصرف الاولاد الى حيث شاؤوا ليرتادوا معاشهم

فقام الخدَم وأجروا في الحال امر سيّدهم فاتوا الى اليتامى وكرّروا على مسامعهم كلام معلّمهم الذي يفتت الاكباد ويشعل الحسرات — ثم رغب الخدم ان يقبضوا على الفرس والكلب غنيمةً باردة . اما البهيمتان الامينتان فأبتا بل جمتا كل قواهما واخذتا تتبادلان المدافعة فكانت « ريح » تردُّ بقوائمها من كان يريد ان يقبض على الكلب وكان « فرّاس » يعضُّ من يحاول ان يمسك الفرس . حتى ان الخدم اقرّوا لهما بالغلبة ورجعوا خائبين وبقايا ثيابهم ممزّقة . فتفكر حينئذٍ الاخوة ان الواجب يقضي عليهم بان يدفنوا اباهم بتجلّة واكرام فساعدهم الفقير بوضع الجثّة على ظهر الفرس ثم قصدوا احدى الضواحي البعيدة والكلب يتقدم الجميع — فمالت الشمس للمغيب وارخى الليل رواقهُ وكان ضوء القمر ضئيلًا يظهر المرّة بعد الاخرى كأنهُ يقاسم الاخوة اسفهم . ولم يزالوا يتابعون سيرهم الى ان انتهوا الى كنيسة دير قديم فانزلوا الجثّة من على ظهر الفرس ووكّلوا الى الفرس والكلب بحراستها . ثم ذهبوا الى المقبرة ليضرحوا اللحد ضريحاً

ولمّا اسفر النهار ولاح الجوُّ بالانوار اقام احد رهبان ذلك الدير قدّاساً لراحة نفس ملكيور . ثم اخذ الاولاد جثة ابيهم وذهبوا بها الى مقرّها الاخير . وقبل ان يواروها اللحد تقدّم يوحنا اكبر الاخوة وفاه بهذه الكلمات : ابانا المحبوب اننا سنرجع اليك في

مثل هذا اليوم بعد سبع سنوات. فتسألك هذه المهة لتكون اهلًا لاسمك وجديرين بذكرك. الان ثم بسلام. نستودعك الله

قال المسكين: اين تذهبون؟

قال يوحنا: حيث يمكننا اكتساب معاشنا. وانت ايها الشيخ الصالح اين تذهب؟

قال: اما انا فألبث هاهنا تحت رواق الكنيسة انتظركم سبع سنوات الى مثل هذا اليوم متقبلًا من صدقات المسيحيين

قال يوحنا حانيًا رأسهُ: باركنا ايها الشيخ. انت الذي حافظت على محبة والدنا

فدَّ السائل يديهِ الضعيفتين المرتجفتين على رأس اولاد ملكيور وباركهم. ثم اشار الثلاثة باصبعهم الى المقبرة قائلين للنفير بصوت واحد: عهدنا بهذا الموضع في مثل هذا اليوم بعد سبع سنين ثم رسموا اشارة الصليب. وامتطوا ثلاثتهم صهوة الفرس. وقالوا: باسم الله مجراها — هذا وكان بفناء الكنيسة ثلاث طرق لا يدرك الطَّرْف آخرها فبات الاخوة على غُمَّةٍ من امرهم لا يعرفون اي طريق من الثلاث يسلكون فاخذ الوالد يستشير الاخ. وهم كذلك واذا بالكلب تقدَّمهم آخذًا الطريق الوسطى ملتفتًا اليهم بغتةً وبسرة كأنهُ يخاطبهم أن: اتبعوني هذه هي الطريق. فارتأى اليتامى انَّ في اقتفار آثار الكلب نجاتهم. فأرخوا العنان للفرس «ريح» وهذه اخذت تعدو اثر الكلب. ولمَّا احسَّت بأنها حاملة ابناء سيِّدها ملكيور جعلت تنتهب الارض وتهزّ رأسها عجبًا

كان ليوحنا من العمر ست عشرة سنة وجول خمس عشرة ولايمار اثنتا عشرة وكان منظر الفتية الثلاثة رائعًا ونضارتهم رائقة وكان لبسهم مركبًا من كتة من مخمل اسود وكساء جوخ اسمر مائل الى الاصفرار يتَّصل الى الركبتين ومحزم جلد اسود مطقًا بهِ هميان لكنَّ ذلك الكيس لسوء الحظ كان فارغًا

مضى على الثلاثة بضع ساعات وهم سائرون حتى بلغوا غيضةً فقالوا هناك ليأخذوا نصيبًا من الراحة. واذا بيوحنا فاتحهم الكلام: اخوتي ما العمل في اوَّل مدينة ندخلها؟ اقولُ لكما اني احبُّ التجدد وجلُّ رغبتي ان أدافع عن وطني

قال جول: اما انا فاريد الانتظام في سلك دعاة الدين لاصلّي لاجل ابي ولاجلكم

قال ايمار: التصوير يلائم ذوقي. فارغب الانخراط في مصاف من شرفوا بلادهم بالفنون الجميلة.

اجاب يوحنا: لكن لسنا على شيء من امور هذه الدنيا. من يثقفنا ويعلمنا السلوك بين الناس

قال جول: بالصواب تكلمت لا نستغني عن مرشد يهدينا سواء السبيل

قال ايمار: دعنا نفتح الكتاب الذي ورثناه من والدنا

حينئذٍ اخرج يوحنا الكتاب من تحت كسائه. فدهش بادئ بدء من اتقان صنعة دفتيه اللتين كانتا من جلد المعز الاحمر مزدانتين بقفل ثمين ففتحه بكل احترام. فاذا بالصفحة الاولى كتب عليها هذا البيت بحروف ذهبية:

من يفعل الخير لم يعدم جوائزه . لا يذهب العرف بين الله والناس

فبعد ان قرأ البيت بصوت جهور قلب الصفحة الثانية والثالثة . . . فاذا بالصفحات كلهن بيض. فلزم يوحنا الصمت برهة ثم قال: كنت اود لو يكون فيه حكم أخر

قال جول: ان ظروف الحياة وصروف الدهر تتقاضى حكماً كثيرة

قال ايمار: بل ان بهذا لغاية. لا شك ان هذه الحكمة تتضمن معاني بليغة أما قال لنا ابونا انا إن حفظنا ما ضمن الكتاب تم الحفظ بلغ الله بنا من السعادة والمنزلة غاية

قال يوحنا: نعم ما قلته. ثم طبق الكتاب ورضعه على صدره كذخيرة مقدسة لا تثمن

هذا ولما كانوا غائصين في بحور الافكار اذ سمع عن بعد عواء كلبهم فراس وهو واقف على حافة طريق بقرب خندق. ثم ما لبث ان أتى اليهم مسرعاً وهو ينبح ثم رجع على الفور الى حيث كان

قال يوحنا: لا شك ان فراس بفعله هذا يدلنا على انه وجد شيئاً ثميناً فيا حبذا لو كان حساماً فيكون لنا عوناً ضد الاشرار

قال جول: إذا كان صليباً كان لنا سنداً

قال ايمار: ما احسن ما يكون حظنا لو كان ثم كنز فنرجع على اعقابنا فنبني ديراً لائقاً بوالدنا وملجأ لهذا الفقير الصالح المثابر على الصلاة

ثم اتى الاخوة الى حيث كان ينبح الكلب فلم يجدوا شيئاً مما أملوه ولكنهم رأوا في الخندق ثلاثة من النور لونهم لشبه بلون النحاس سود الاعين مفلفلو الشعر مجردون بكل قظاظة ابنة صغيرة من ثيابها الفاخرة فدهش الاخوة من هذا المنظر وسأل جول ايمار اخاهما يوحنا: «ما يقول الكتاب الابيض؟» اجاب يوحنا وهو يطفر من على فرسه: «من يفعل الخير لم يعدم جوائزه» ثم صرخ الى اخوته: علي بهؤلاء الاشقياء. ونزل الى الخندق فتبعه على الفور ايمار وقبض على عنق احد النور ووثب الكلب على الآخر وطار ايمار وكر على الثالث فصرعه وضبطه تحت قوائم فرسه. فلما رأى هؤلاء الاشقياء ان لا مناص لهم من ايدي الاخوة اخذوا يسترحمون ويستعطفون فتجاوز الاخوة عن ذنبهم واطلقوا سراحهم فولوا هاربين وكف فرأس عن النباح. ثم دنوا الى الابنة الصغيرة ليحلوا رباطها. فلما رأت الفتاة انها نجت من اعدائها اخذت تتملص مما البسوها من الثياب الرثة وحسرت لثامها الذي منعها من الصراخ وطلب النجدة. فتلألأت غرتها وتألق اذ ذاك حسنها ثم جثت على ركبتيها وضمت يديها الصغيرتين المحمرتين من اثر الحبال التي ربطت بها شاكرة الله بكل قلبها على خلاصها من ايدي الكفرة وحدقت بعين الشكران الى الاخوة الذين انرخوا عنانهم. ثم اجهشت بالبكاء. فرق لها يوحنا والتفت اليها قائلا بلطف: ترى ما يمكننا ايتها الفتاة ان نفعله لنمد لك يد المساعدة

فلما سمعت الفتاة ذلك الكلام المملوء شفقة اخذت تنشف دموعها ثم اجابت: اطلب منكم ان توصلوني بسرعة الى قصر جدي. لكن العجلة العجلة فسأقص عليكم في الطريق قصتي المحزنة وما ذقت من العذاب واحتملت من ضروب النكال

فركب جول واردف يوحنا وايمار الابنة ثم سارا على جانبيها ماشيين وكانت الابنة تشير الى الطريق فجازوا اولا في الحقول ثم وسط غابة كثيفة ولم يفوهوا ببنت شفة مراعاة لحرمة الفتاة الى ان سبقتهم هي بالكلام وقالت بصوت مؤثر يأخذ بمجامع الفؤاد: «انا بنت الكنت دي ساقوزي الراسخ النسب الكثير النشب ذي الحول والاقتدار. احد كبار قواد مولانا الملك. البارحة مر بالقرب من القصر نور فاستأذنوا جدي الامير في ان يأتوا بضروب من الرقص وافانين من الالعاب المعجزة. فقبلهم جدي كملالة لي ابتغاء ان يريح نفسي هنيهة عن الدروس التي كان كاهن القصر يلقيها علي. فكان مع هؤلاء المشعوذين قرد غاية في النباهة فعلقت به ورغبت الحصول عليه. هذا ومخافة ان

طلبي لا يجوز قبولًا لدى ظاري وان هذه الصفقة لا تقع ضدها موقع الرضى. لستترتُ عنها وصعدت الى حجرتي لآخذ هيابي ثم اتيتُ الى النور دون ان يراني احد من الخدم فلمَّا رآني هؤلاء الانذال وحدي سدُّوا فمي وربطوني وجعلوني في كيس كبير ثم وضعوني كحزمة على فرس واجتازوا بي بجراءة امام بوَّابنا الشيخ. ولما ارخى الليل رواقهُ أتوا بي الى هذه الغابة وسلبوا ثوابي الثمينة وتقاسموها بينهم وألبسوني ثيابًا رثَّة كما ترون وارادوا ان يتخذوني أمةً في سبيل مآربهم ولولا قدومكم لكانوا ذهبوا بي بعيدًا جدًّا فأكرهوا على ان يختبئوا ويحجبوني عن الابصار في اسفل هذا الخندق حيث كلبكم فرَّاس احسَّ بهم واوقفكم بنباحهِ عن مخبَّاءات صدورهم

ثم تنفَّست الفتاة الصُعداء وقالت: لقد استوجبتُ هذا النصيب بجهلي ولو لم احتجب عن ربيبتي لما حدث لي شيءٌ من ذلك

قال يوحنا برزانة: إنَّا نحمدُ الله على هذه المنَّة العظيمة ونشكرهُ شكرًا لانهُ سوَّغ لي ولاخوتي ان نخلصكِ من ايدي هؤلاء الاوباش. فهذا نعدّهُ سعدًا وطالعًا ميمونًا لنا

وما اتمَّ يوحنا هذا الكلام حتى خرجوا من الغابة فصاروا بازاء قصر قديم العهد مجنَّح بسبعة ابراج صغيرة يحيط بهِ خندق ولا يُدخل اليهِ الَّا من جهة واحدة على منبر تقَّال ولحسن الجد والتوفيق كان هذا المنبر وقتئذٍ موطَّأ. فقالت الابنة: أترون هذا الشيخ الجليل الذي يتمشَّى على سطح البرج الاعلى هذا الامير ساقوازي جدّي المحبوب ها انهُ ينظر عن بعدٍ نظرة مكتئب علَّهُ يرى ابنتهُ العزيزة قافلة صحبة من بعث من الخدم لتفقُّد امرها. ثم اخذت الكونتس الصغيرة تصيح بكل قواها مادَّةً ذراعيها نحو السطح: «جدّي: جدّي: ها اني راجعة بسلام طبَّ نفسًا وقرَّ عينًا»

وكان الشيخ موجِّهًا نظرهُ الى الثلاثة الوفود والى الابنة التي معهم فحدَّثتهُ نفسهُ انَّ الفتاة هي ضالَّتهُ المنشودة بعينها. فنزل بسرعة من على السطح واتى الى اسفل درج القصر منتظرًا. هذا ولما دنوا من المنبر النقَّال اخذت الفرس ريح تصهل والكلب فرَّاس ينبح الى ان ولجوا فناء القصر فاذا بالشيخ واقف فحيَّاهُ الاخوة بالسلام وسلَّموهُ الفتاة فسُرَّ برؤيتها ايَّ سرور فعانقها اذ ذاك معانقة الوالد لحشاشة كبدهِ ولشدَّة ما نالهُ من الجزل لم يلتفت الى خلقتها المشوَّهة بل اخذ يكرِّر هذا الكلام: «كلوديا. كلوديا

عزيزتي قد رجعت الى جبلك الكئيب . الهي اني اشكرك على هذه النعمة العظيمة . كلوديا حبيبتي قد رأف بي الرب واتاح لي ان اراكِ ثانيةً ولم يعدمني وجودكِ فأموت بسلام »

اجابت : « حاشاك جدي وجُعلتُ فداك . ولكني ارجوك ان تصفح عن غباوتي اذ القيت نفسي في ايدي اولئك الصاليك فانظر ما صنعوا بي » . قالت هذا وتعرّت بشعرها الطويل الجميل وغطّت رجليها الصغيرتين العاريتين المتلوّثتين بالطين وصعدت مسرعةً الى حجرتها . فاتت اليها حينئذٍ ربيبتها واخذت تضفر شعرها وتغسلها ثم البستها ثوباً من صوف ابيض وهي في اثناء ذلك تقرّعها على فعلها وتوبّخها على استسلامها لاناسٍ ادنياء . فاستذلّت الفتاة واقرّت بذنبها واستكانت

لمّا اتت كلوديا لبسها نزلت على الفور ودخلت في خزانة الاسلحة حيث كان الامير ساقوازي فما نقتهُ والقلب يطفح سروراً ويطرب حبوراً . ثم ادارت بصرها فيمن حولها فلم ترَ منقذيها فاضطرب بالها وقلقت افكارها واخذت تتنقّر عنهم وتسأل : اين الكلب الذي وجدني ؟ اين الفرس الذي اتت بي الى منزلي ؟

قال جدُّها : « ابنتي طيبي نفساً انني قد امرت ان يُحتفى بالثلاثة الغرباء ويُكرم مثواهم . ثم اردف متبسماً لكنني نسيت المنقذَين الاخيرين . اي الكلب والفرس » . فجعلت الفتاة تمانق جدّها ذارفةً الدموع وهي تقول : ان جدي قد قصّر في الامتنان للمنقذَين وفاتهُ الشكران للاثنين . أما انهُ لولا الكلب والفرس لكانت كلوديا في رقّ عبوديّة اولئك الاعلاج ولكان اصبح جدُّها الامير يتأوّه ويتقلّب على نار الاسى ويقول لعلّ وعسى

وفي اثناء ذلك دخل اولاد ملكيوز الثلاثة ليودّعوا الامير والابنة فحيّوا الامير بالسلام بكلّ وقار واحترام ثم قبّلوا يد الفتاة الاميرة . لمّا هذه فسُرّي بدخولهم هشّت وبشّت ولجّ بمرآهم صدرها . فطفقت تهشّ لهم وتبشّ وتؤنسهم بالمقال اما هم فدُهشوا من اثوابها الثمينة وبُهتوا من حلاها النفيسة وأشكل طيهم مرقاها بهذا الزيّ الباهر . اما الاميرة الصغيرة فانها قالت لهم متأثرة : « اقبلوا مني اسيادي الشكر الجسيم لما تجشمتم في سبيل انقاذي من المخاوف وركبتم الاهوال لتنشلوني من مخالب اولئك الوحوش

الكواسر. وحملتم انفسكم على المتالف لكي تطلقوا وثاقي فسا احراكم بالشكر والثنا. ابد الدهر

فاحنى يوحنّا اذ ذاك رأسهُ وقال : إنّنا نرانا سعداء ايتها الاميرة الشريفة لأنّنا فككنا أسر ابنة كريمة المغرس مثلك واعدناها الى أسرتها الحزينة (البقيّة لعدد اخر)

نظر عام في اخص حوادث العام

للاب لويس رتزفال اليسوعي

هذه سنة عسرة ماديًا وادبيًا قد انقضت فبارحتنا الى الابديّة. وقد احسّت بثقلها كافّة الدول الّا انّ عبئها كان اثقل على اعناق دولتنا التركيّة. نعم انّ الحرب التي كانت تتهدّدنا بعد الارتباكات الناشئة بين الحكومة السنيّة والدول المجاورة لها كالسبة والبلغار والصرب لم تستمر نيرانها والحمد لله الّا انّ النفوس ظلّت في اضطراب وقلق الى شهر آذار حيث انتشت تلك السحابة عن جوّنا بالمعاهدة الصلحيّة والتركيّة في الاستانة في ٢٦ شباط ثم بالمعاهدة التركيّة البلغاريّة في بطرسبورج في ٢ آذار بفضل توسّط روسيا وخمدت نائرة حربيًا فأعلنت في ٣ منهُ بانّها راضية بحكم الدول الاوربيّة فتنازل اميرها جرج عن ولاية العهد

وما مرّ على ذلك بضعة اسابيع حتى اكفهرّ الجوّ ثانيةً وثارت في مركز العاصمة ثورةٌ مهولة ابدلت للمسيحيين افراح عيد الفصح بأكدار مفجعة. فمن ١٣ نيسان الى ٢٧ منهُ قام الارتجاعيّون بمظاهرات ومشاغب وفتن هيّجها السلطان عبد الحميد وكان اكتسب بالمال والهبات فئات من الجند فانتصروا له وأسالوا الدماء في دار السلام وألجأوا الميعوثين الى الفرار فذهب ضحيّة هيجانهم اكثر من مئتي ضابط مع وزير البحريّة وشهيد الحريّة وطنيتا واحد طلبة كليّتنا في بيروت الامير محمّد ارسلان. ولولا مسير جنود سالونيك الظافرة يقودها الفريقان محمود شوكت باشا وحسين حسني باشا فاستولت بسرعة غريبة على قلاع العاصمة وردّت كيد الارتجاعيين في نحرهم لأضحت اسطنبول منقعًا لدماء الاهلين. هذا ما سمعناهُ في رحلتنا الاخيرة الى الاستانة وادرنة في الصيف المنصرم من افواه الوفٍ من شهود العين ويمكن الاطلاع على تفاصيلهِ في